مكافحة الأميـــة

للأستاذ عبد الله أمين

المراد بمكافحة الأمية ، تعليم القراءة والكتابة ، وليست القراءة والكتابة غرضا مقصودا لذاته ، وإنما هى أعظم وسيلة لأعظم غرض ، من أغراض الشعوب ، وأجلها قدرا ، وأبلغها فى حياتها أثرا ، هـذا الغرض هو مكافحة جهالة العقول ، بتثقيفها بالعلوم والفنون والآداب ، لترقيتها وصيانتها من الخطل ، ومكافحة ضلالة النفوس بتهذيبها بالوعظ والارشاد والوسائل العملية ، لتقويمها وصيانتها من الزلل .

فمكافحة الأمية وسيلة ، لمكافحة الجهالة والضلالة ، أو للتثقيف و التهذيب ، أو لترقية العقول والنفوس ، وهذا الغرض ألزم مايلزم لحياة الأمم ، لأن الشعوب إذا ضعفت مداركها ، وتدهورت أخلاقها ، صارت كالحيوان الأعجم ، بل أضل منه سبيلا ، إذ أن لكل حيوان ، غريزة ذات حدود ضيقة ، فاذا أشبعت هذه الغريزة — و إشباعها هين — امن الناس شره .

أما الإنسان ، الإنسان الضعيف الجبار ، فإنه فريسة لعوامل قاسية عنيفة كامنة فيه ولا قبل له بمقاومتها ، وهى تذله وتستبعد ، وتملك قياده وتسخره لما تشاء ، وكيف تشاء ، وما أسوأ ما تشاء ! فيصبح هذا الانسان الضعيف ، عبدا ذليلا خاضعا ، لهذه العوامل ، وشيطانا مفترسا جبارا ، لا حد لطغيانه على الجماعة الإنسانية ، ولا ضابط لسلطانه عليها ، و بطشه بها ، إن لم يستطع ذلك جهرا ، استطاعه سرا ، والسر ميدان الشرور الأرحب ، وهذه العوامل طائفتان طائفة عقلية وطائفة نفسية .

فأما الطائفة العقلية ، فهى الأوهام والوساوس ، والتصورات والهواجس ، التى يثيرها الإدراك السقيم الناقص ، ويوحيها العقل الضعيف الباطن ، فيلسج الناس من خيوط هذه الترهات الواهية ، عقائد وآراء سقيمة ، لا تستند إلى سند من العقل والمنطق ، ويضربون من نسيج هذه الخيوط قبابا وخياما ، سداها الضلال ، ولحمتها الفساد والإفساد ، ويقيمون فيها يدبرون المكايد الوبيلة ، فيوردون الجماعة الإنسانية موارد الهلاك ، ثم يتردون هم أنفسهم بعد ذلك فيها .

وأما العوامل النفسية ، فهى الشهوات البهيمية ، والنزغات الشيطانية ، التى تتاجج نيرانها فى نفوسهم ، ولا يطفئ لهيبها ، إلا المطالب الدنيئة ، والرغائب الخسيسة ، وهى كلما نالت منها مطلبا ، ازدادت لها طلبا ، وفيها رغبا ، وليس لشبعها وريها حد ولا نهاية . إنها تزيد الجسم والشهوة قوة وبهيمية وتضعف الروح وتميت الوجدان ، حتى لا يبقى لشىء من ذلك أثر — وحينئذ يصبح الإنسان حيوانا بل شرا من الحيوان ، ويعيث فى الأرض فسادا ، وهذه العوامل النفسية ، شر من العوامل العقلية .

فلا بد لتحرير العقول والنفوس البشرية ، من هذه العوامل السيئة الخبيثة ، ولوقاية البشر آثارها الوبيلة ، من تثقيف الشعب ، بالعلوم والفنون والآداب ، وتهذيبه بالوعظ والإرشاد ، وبالوسائل العملية ، التى تكوّن العقول والنفوس ، تكوينا صالحا سديدا ، وتنميها وتقويها ، وتقدّرها على العمل لحفظ الحياة ، ولتوفير السعادة .

ولا بد لهذا التثقيف والتهذيب ، من أن يعتمد على دعامتين ، الأولى القراءة والكتابة والثانية المشافهة ، فملايين المتعلمين ، فى أنحاء الشرق والغرب ، وفى مراحل التعليم المختلفة ، من أن خلقت المدرسة للآن ، يعتمدون فى دراساتهم على القراءة والكتابة وعلى المشافهة . ولا بد لكل متعلم يوما من الأيام من أن يقتصر فى دراسته فى أكثر الأوقات والحالات ، على القراءة والكتابة وحدهما ، وهما مع ذلك أفضل من المشافهة من وجوه كثيرة لا محل لذكرها هنا ، وحسب القراءة والكتابة فضلا عن أن العلوم والفنون والآداب ، والشرائع ما حفظت ودرست ، إلا بتدوينها بالقراءة والكتابة .

فلا بد إذن لترقية الشعب المصرى ، عقلا ونفسا ، من تعليمه القراءة والكتابة ، مع العلوم والفضائل ، فى المدارس الإلزامية فى سن التعليم الإلزامى ، وفى مدارس الشعب ، من بعد سنّ التعليم الإلزامى ، إلى الخامسة والأربعين ، أما من تجاوزوا هذا السنّ ، وزهدوا فى تعلم القراءة والكتابة ، فلا بأس بتثقيفهم وتهذيبهم بالمشافهة وحدها ، ولو عشر تثقيف وتهذيب ، فإن هذا أولى من العلوم ، وهم مع ذلك إلى فناء .

إنا أبناء أمة أمية ، فى ربوعها نشأنا ، وبين أحضانها درجنا . لذلك ندرك إدراكا صحيحا سليما صادقا ، مقدار التخبط العقلى والنفسى ، الذى تتورط فى هذه الأمة العزيزة ، فكثير من عوامها تفسد فطرهم السليمة ، بتأثير هذه العوامل العقلية والنفسية السيئة المتفشية فى الأمة ، فيدركون كثيرا من الأشياء ، إدراكا سقيما ، ويسلكون فى كثير من أعمالهم مسالك عوجا ، تلائم إدراكهم وكثيرا ما يستحسنون ما يضرهم ، ويستقبحون ما ينفعهم ويسلكون إلى أغراضهم سبلا ملتوية غير مشروعة ، ويتنكبون السبل المستقيمة المشروعة فيفضى بهم ذلك إلى أسوأ العواقب ، ومسرح الحياة المصرية ، ملىء بالمآسى التى تجلبها الجهالة والضلالة ، وإذا لم يكن فيها علياتها إلا الفقر والمرض ، وهما ثمرتان من شر ثمارهما لكفى .

فالتربية الشعبية أمر لا بد منه ، ولا نجاح لهذه التربية إلا بتعميم القراءة والكتابة ، والقضاء على الأمية القضاء المبرم ، الذى لا مرد له .

وإن أساس التقدم الإنسانى ، الفردى والاجتماعى هو التثقيف والتهذيب ، وما من حضارة قامت فى أمة من الأمم قديما وحديثا إلا على دعائم ثابتة ، من عقائد الأمة وأخلاقها ، أو مزاجها العقلى والنفسى .

وهذا المزاج هو الذى يطبع ، هذه الحضارة بطابعه ويقدّمها على مثاله شبرا بشبر وذراعا بذراع .

والحضارة الحديثة التى بلغت قمة مجدها ، قامت بلا شك على أساس متين ، من العقول الناضجة والنفوس السامية ، فلا بد لكل شعب يريد أن يتحضر بهذه الحضارة الحديثة من أن يكون على درجة رفيعة من الرقى العقلى والنفسى ، وأن يكون على اتصال دائم بوسائل هذا الرقى ، وهى العلوم والفنون والآداب ، والمكارم والفضائل الخلقية ، ومصدر هذه الوسائل ، وهى الكتب والمجلات والصحف والمطبوعات الدورية ، ولا سبيل إلى بلوغ هذه الدرجة الرفيعة من الرقى ، ولا إلى الاتصال الدائم بوسائله ومصادره إلا بالقراءة والكتابة ، فالقراءة والكتابة مفتاح الرقى العقلى والنفسى الذى يفتح لنا المغلق من أبوابه ، ويمهد لنا السبل إلى دربها ومسالكها ، كالمفتاح الكهربى الذى ينير لنا مصابيح الكهرباء ، ويبدد الظلمات ويتيسر السير فى الطرقات .

وقد أصبح التحضر بهذه الحضارة الحديثة ، أمر لابد منه لكل أمة تريد أن تعيش ، فى هذا العصر الحديث ، حرة مستقلة ، عزيزة كريمة مرفوعة الرأس ، موفورة الكرامة ، لأن هذه الحضارة ، بما أوتيت من قوة العلم والتحويل والابتداع ، وتقدم وسائل النقل البرية والجوية والبحرية ، قد حطمت جميع الحواجز بين الأمم ، وخلطت بعضها ببعض فى صعيد واحد ، خلطا لا سبيل لأمة إلى التخلص منه ، والركون بعد ذلك إلى عيشة العزلة والانفراد ، التى كانت ميسورة فى العصور الأولى لبعض الأمم النائية .

ومصر وهى حلقة الاتصال بين الشرق والغرب ، قد أصبحت مضطرة اضطرارا ، إلى مشاركة أرقى الأمم حضارة فى هذه الحياة ، وليس إلى تخلصها من هذه المشاركة سبيل ، بأية حال من الأحوال ، فإذا لم تقلدهم فيما وصلوا إليه ، من وسائل التقدم الحقيقية ، ودعائمه الأصلية وهى العلم والفضيلة ، ولم تعدّ للحياة ما أعدّوا لها من قوة تحطمت وأصبحت كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ، وزالت من الوجود بفنائها فى هذه الأمم القوية ، لأن البقاء فى هذه الدنيا للأصلح ، ولا صلاح ولا بقاء إلا بصلاح العقول والنفوس ، ولا سبيل لإصلاح العقول والنفوس ، فى أمة تعد بالملايين ، كالأمة المصرية ، إلا بتعميم القراءة والكتابة فما أحوجنا إلى مكافحة الأمية ، وإلى ما قصدت لأجله ، وهو تربية الشعب تربية عقلية نفسية .

يجب أن تكون مكافحة الأمية ، وتثقيف الشعب وتهذيبه ، فى مقدمة ضرورة الإصلاح جميعا ، فقد أجمع المصلحون فى مصر ، على أن شرما يفتك بهذه الأمة الكريمة ، ثلاثة جيوش : جيش الفقر ، وجيش المرض ، وجيش الجهالة والضلالة ، وقد سئمت الأمة هذه الحال ، ونهضت شعبا وحكومة لمحوها وإزالتها وهذا حسن وخير كثير ، لأن ضروب الإصلاح ، سلسلة متصلة الحلقات يأخذ بعضها برقاب بعض ، فمن الخير أن تحارب هذه الجيوش الثلاثة مرة واحدة . غير أنه إذا خيف تفرق الجهود والأموال وعجزها عن

مكافحة الأمية هذه الجيوش الثلاثة فى وقت واحد مجتمعة ، ورؤى أن تحارب أحاد ، وسئلت أى هؤلاء الجيوش الفتاكة أحق بالمكافحة قبل زميليه ، أجبت بلا تردد " أحقها بانفاق الجهد والمال فى مكافحته هو جيش الجهالة والضلالة " لأننا لا نستطيع أن نحارب الفقر والمرض محاربة جدية مظفرة ، ويقضى عليهما القضاء المبرم الأخير ، إلا بتثقيف للعقول وتهذيب النفوس ، ليعرف كل إنسان الضار والنافع ، وطرق كسب العيش ، ويستطيع أن يساهم فى صيانة حياته وتحقيق سعادته ، بما أوتى من حسن الإدراك ومتانة الخلق ، وما يلائم هذا العصر من هذا وذاك . وإلا فهل ينتظر أن يكد عشر الشعب وهو الفريق المثقف المهذب منه ، ليعول تسعة أعشاره الأخرى ويحاول أن يحرر هذا العدد الضخم من الفقر والمرض ، ويترك مصدر الفقر والمرض ، وكل بلاء آخر ، وهو الجهالة والضلالة ، يعوقه عن المساهمة فى تحريره من البلاد ، بل يجعله عقبة فى سبيل هـذا التحرير . لا شك أن بعض العامة تنجو فطرهم السليمة من عوامل الإفساد العقلية والنفسية ، وهم مع ذلك ذوو قرائح صافية ونفوس عالية ، فيستطيعون أن يشقوا طريقهم فى الحياة ، بدون قراءة وكتابة ، وبدون معرفة علم وفضيلة ، وأن يسعدوا ، ولكن هؤلاء قلة لا يبنى عليها حكم .

* * *

هذه هى الأمية ، وهذا هو شرها ، فليس بكثير إذا ما بذلته وتبذله ، وزارة الشؤون الاجتماعية ، ولا ما بذله ويبذله الأفراد والجماعات من المواطنين فى سبيل مكافحتها ، وليس بكثير ما ينفق فى سبيل هذه المكافحة من ملايين الدنانير ولا من جهود وأوقات .

إن الأمية شر الأعداء ، لذلك اختاروا للتعبير عن محوها لفظ " مكافحة " أى محاربة وحل فى الأعداء عدو أخطر من الجهالة والضلالة وأحق بالمكافحة ، وحل رفع بعض الأمم إلى ذروة القوة والمجد إلا سمو العقول والنفوس ، وهل حط بعض الأمم إلى أسفل الدركات إلا الجهالة والضلالة أو انحطاط العقول والنفوس .

ولا بد لمكافحة الأمية من مدارس شعبية ليلية ، والمدارس الشعبية لكل المدارس ، تقوم على أركان هى المنهاج والمدرس والمكان والأثاث ، والكتب والأدوات المدرسية .

فأما المنهاج فلا يمكن وضعه ، إلا إذا عرف الغرض المقصود منه ، وهذا الغرض يمكن أن يفهم ، من صدر هذا المقال ، وهو إنقاذ عامة الشعب المصرى ، مما هو فيه من جهالة العقول ، وضلالة النفوس ، وإنها ضد نهضة عقلية نفسية ، ترفعه إلى منازل الشعوب الراقية ، التى ألفى رغم أنفه فى ميدانها ، وأصبح مضطرا اضطرارا إلى مشاركتها ومنافستها ، فى هذه الحياة المعقدة كل التعقيد .

وأمامنا الآن منهاج ، أقره المجلسان ، وهو الوارد فى المادة الثانية من قانون مكافحة الأمية ونشر الثقافة الشعبية وهى " يفرض على الأميين الذين يخضعون لأحكام هذا القانون تعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والمقاييس والموازين والمكاييل والنقود المستعملة فى المملكة المصرية مع قسط مناسب من الثقافة العامة " .

وهذا المنهاج على إيجازه وقلته كاف لتحقيق هذا الغرض فإن ماذكر فيه من القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والمقاييس والموازين والمكاييل والنقود جدير بأن يرفع عامة الشعب المصرى إلى درجة محمودة من الرقى الفعلى والنفسى لأن القراءة والكتابة مفتاح لأبواب العلوم والمعارف والآداب والفضائل ولأنهما والحساب وما معه خير عون للانسان على فهم أعماله وضبطها ، أما الرقى الأعلى المرجو فالعبارة الواردة فى هذه المادة وهى " مع قسط مناسب من الثقافة العامة " باب من أوسع الأبواب ، التى تفضى إلى أرقى درجات الرقى الثقافى ومقياس صادق لكل درجات الثقافة فى كل زمان ومكان فنى الإمكان أن نعد هذا القسط المناسب من الثقافة العامة هو القسط الذى تقدره لنفسها الدول العظمى التى فرضت مشاركتها ومنافستها علينا فرضا ، فكلما سارت هذه الدول فى ميدان هذه الثقافة العامة شوطا وبلغت منها درجة ، كان قسطنا المناسب منها ، أن ندرك هذه الدول فى هذا الشوط وتبلغ الدرجة التى بلغتها منه .

أما القسط المناسب من مواد التثقيف والتهذيب ، لكل زمان ومكان ، وأولاها جميعا بالتقديم ، وبألا يخلو منه منهاج التربية الشعبية ، أبد الآباد ولا ينبغى لإنسان أن يجهله فهو ما كان " الانسان نفسه وكل ما يتصل به من صنع الله وصنع البشر " موضوع بحثه .

وفى مقدمة ذلك تركيب جسم الانسان ، ووظائف أعضائه ، وما ينفع هذا الجسم وما يضره ، من طعام وشراب ولباس وأثاث ومسكن وأعمال وإذا كان الانسان إنسانا بعقله ونفسه ، وكان بين الجسم والعقل والنفس ارتباط وثيق ، فالذى يلى تركيب جسم الانسان ووظائف أعضائه ومعرفة ما يضره وما ينفعه ، هو تقويم إدراكه بمحاربة البدع والخرافات والأوهام والضلالات ، فى أمور الدين والدنيا جميعا وتقويم أخلاقه بمقاومة ما فيه من رذائل وتأييد ما فيه من فضائل بالنصوص الفعلية والأدلة العقلية ، ثم يلى ذلك معرفة حضارة الآباء والأجداد ، وتكوين البلاد الجغرافى والاقتصادى والسياسى والادارى والحقوق والواجبات الوطنية ، ثم خواص ما فيها من نبات وحيوان ، ومخترعات حديثة وتركيبها ، وإن شئت فقل علوم التشريح ووظائف الأعضاء والصحة والدين والأخلاق والجغرافيا والتاريخ ، والتربية الوطنية والنظام التعاونى وعلوم الحياة والكيمياء والطبيعة بإيجاز طبعا .

وأما المدرس فقد كفلته المادة السابعة من هذا القانون أعظم كفالة وهى لا يجب على المعلمين فى جميع المدارس الأولية والابتدائية والفنية والثانوية الحكومية والحرة أن يقوموا

بمهمة تعليم الأميين كلما طلب منهم ذلك وزير الشؤون الاجتماعية بالاتفاق مع وزير المعارف العمومية فاذا لم يوجد منهم العدد الكافى جاز لوزير الشؤون الاجتماعية تكليف غيرهم من المتعلمين سواء أكانوا من الموظفين أم غيرهم بالتدريس مع مراعاة ظروفهم وأوقات فراغهم" وهذه الكفالة بأمرين :

الأمر الأول فرض تعليم الأميين على جميع المدرسين فى مراحل التعليم العام المختلفة وهى : الأولى والابتدائى والثانوى ، والفنى التجارى والزراعى والصناعى، وهؤلاء كثيرون كثرة ، فيها الكفاية لتعليم الأميين .

والأمر الثانى فرضه على المتعلمين من غير هؤلاء الفنيين وفى البلاد المصرية عدد كبير جدا ، ممن أتموا الدراسة فى كليات الأزهر الشريف ، وفى كليات الجامعة ، كفيل بأن يسد النقص إذا لم يكن غير المعلمين الفنيين كافيا .

وكل ما يرجى فى هذا الموضوع، ألا يعهد بتدريس القراءة والكتابة والحساب وثلاثتها مخ المنهاج وعماده إلا إلى المدرسين الفنيين على أن يزودوا بكتب فى الهجاء على أحدث الطرق وهى الطريقة الصوتية والكتابة الوصلية وعلى ألا يقتصر ذلك على كتاب واحد لافساح المجال لتجربة أكثر من كتاب وكذلك الحساب . أما غير الفنيين فى تعليم الأطفال والشبان ، من رجال الدين والزراعة والطب والهندسة والحقوق والآداب وغيرهم ، فيعهد اليهم بتدريس موضوعات الثقافة العامة .

وأما الأمكنة فقد كفلتها المادة الثامنة من القانون أعظم كفالة كتلك " وتؤدى الدراسة فى معاهد التعليم على اختلاف أنواعها حكومية أو حرة عدا معاهد التعليم العالى فاذا لم تتسع تلك المعاهد لأغراض الدراسة جاز أن تؤدى فى الأمكنة الآتية :

(١) دور العبادة ، (٢) دور الحكومة العامة ، (٣) صالات الاجتماعات والمحاضرات ، (٤) الأماكن التى يقدمها أصحابها وتكون صالحة لهذا الغرض .

فاذا تعذر وجود أمكنة صالحة للتدريس جاز أن يكون التعليم فى الهواء الطلق مع مراعاة فصول السنة وأسباب الوقاية الوقتية من تقلبات الجو " .

وأما الأثاث نهو العقبة الكأداء ، فى سبيل هذا العمل الجليل الخطر، إذ لابد للمتعلمين من عامة الشعب من أن يجلسوا كما يجلس تلاميذ المدارس على مقاعد ومكاتب أو مساند يستندون اليها حين الكتابة ، وتخوت التلاميذ فى المدارس الالزامية فى القرى صغيرة ضيقة يجد فيها الكبار ضيقاً وأذى جديرين أن يصرفاهم عن المدارس والدراسة ، أو يعوقاهم عن الفهم والعمل .

وإذا كان فى الشر خيار ، فان الخيار فى هذا الأمر عندى أن يجلس الكبار من المتعلمين على مقاعد من جريد النخل ويستعاض عن المكاتب أو المساند التى أمامها بأن يكتبوا على

على ألواح كألواح الإردواز يستندون بها على ركبهم فان ذلك خير من حشر هـذه الأجسام الكبيرة حشرا يضايقهم و يضرهم وينفرهم فى تخوت الأطفال الصغيرة .

وأما الإضـاءة الصناعية فشر طرقها تعليق مصابيحها فى السقوف ، وخيرها ما علقت مصابيحها على الجانبين عن أيمـان المتعلمين وشمائلهم . والحجرة التى تبلغ مساحتها ثلاثين مترا مربعا تضاء إضاءة متوسطة بأربعة مصابيح من مصابيح النفط الكبيرة قوة كل منها ٣٠ شمعة بأن يعلق مصباحان منها عن أيمـان المتعلمين وآخران عن شمائلهم على أبعاد ملائمة متساوية على أن يعتنى بنظافة زجاجها وذبالاتها اعتناء تاما وخير من هذه بلا شك أن تكون المصابيح من ذوات النفس والذبالات (الرتاين) البيض وخير من هذه وتلك مصابيح الكهرباء على أن يراعى فيها جميعا أن تكون على جانبى المتعلمين لا فى السقوف . وفى أقسام وزارة المعارف الليلية لتعليم الأميين أقسام تضـاء بمصابيح من النوعين الأخيرين ، ومنها ما علقت فيه هذه المصابيح على جانبى المتعلمين على النحو السابق ذكره لا فى السقوف .

وأما الكتب والأدوات فان كل متعلم يحتاج على أكبر تقدير إلى كتيب فى الهجاء وكتيب فى الحسـاب وكتاب فى الثقافة العامة و إلى لوح من حجر الإردواز وعلى أقل تقدير يحتاج إلى كتاب فى الثقافة العامة و إلى لوح من الإردواز إذ فى الامكان الاستغناء عن كتيبى الهجاء والحساب يطبع كل درس من دروس الهجاء وكل درس من دروس الحساب على لوح كبير من الورق المقوى بخط كبير يراه التلاميذ إذا علق أمامهم على لوح الطباشير على أن يكون فى كل مدرسة مجموعات من ألواح دروس الهجاء ومجموعات من ألواح دروس الحساب بقدر عدد فصولها .

وقد فكرت وزارة المعـارف على عهد مراقب التعليم الأولى فقيد مصر والشرق والعلم والتعليم المرحوم الشيخ عبد العزيز جاويش فى طبع دروس الهجاء على هـذا النحو قصـدا فى النفقات غير أن المشروع لم يتم وفى الإمكان إعادة النظر فيه .

وأما لوح الإردواز فانى أفضـله على الورق لصلابته ، و إمكان وضعه على الركبة حين الكتابة عليه إذا لم يتيسر المكتب الملائم ، ولأن الكتابة البيضـاء على اللوح الأسود أقل إجهادا للنظر من الكتابة السوداء على الورق الأبيض ، ولسهولة المحو والإثبات فيها ، ولأن اللوح الواحد يغنى عن مئات الكراسات .

عبد الله أمين